الهجرة الخارجية في المخيال الأمازيغي من خلال الأغنية الشعبية: دراسة حالة الريف المغربي

ذ. بلال أيوب
طالب باحث في سلك الدكتوراه
مختبر اللغة والمجتمع
جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب

ملخص:

يتناول المقال "الهجرة الخارجية في المخيال الأمازيغي من خلال الأغنية الشعبية: دراسة حالة الريف المغربي" الأسباب التي دفعت الإنسان الأمازيغي في منطقة الريف إلى الهجرة منذ القدم، مثل الجفاف، الاستعمار، والحروب. تطرقت الدراسة إلى الهجرات الجماعية والفردية، التي كانت تهدف إما إلى الهرب من الظروف القاسية أو لأسباب اقتصادية كالتجارة. في القرن العشرين، اتجه الريفيون إلى الجزائر، المغرب، وأوروبا للمشاركة في حروب أو إعادة الإعمار بعد الحرب العالمية الثانية، وامتدت الهجرة لتشمل الفنانين الريفيين. استخدم الفنان الأمازيغي الأغنية كوسيلة للتعبير عن مشاعره حول تجربة الاغتراب، حيث تعكس الأغاني الريفية الحنين للوطن ومعاناة المهاجر. يستعرض المقال أمثلة من أغاني الوليد ميمون التي تتناول قسوة الغربة وألم الاستغلال، وأغاني مجموعة "أياون" التي تصف الحنين للأرض الأم وتندد بالهجرة غير الشرعية عبر "قارب الظلام". تعبر هذه الأغاني عن الانتماء العميق للوطن وتجسد تجربة المهاجر الأمازيغي، الذي رغم المسافة، يبقى مرتبطاً بهويته وأرضه.

كلمات مفتاحية: الهجرة الخارجية - المخيال الأمازيغي - الأغنية الشعبية - الريف المغربي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أيوب، بلال. (2024، نونبر). الهجرة الخارجية في المخيال الأمازيغي من خلال الأغنية الشعبية: دراسة حالة الريف المغربي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 8، السنة الأولى، ص 451-461.

Abstract:

The article "External Migration in Amazigh Imagination through Popular Song: A Case Study of Moroccan Rif" explores the historical reasons behind migration in the Amazigh Rif region, including drought, colonization, and conflict. Both individual and collective migrations were often responses to harsh living conditions or economic motives like trade. In the 20th century, Rifians migrated to Algeria, other parts of Morocco, and Europe, either to participate in wars or to help in post-World War II reconstruction, while migration later expanded to include artists from the region. Amazigh artists used songs as a way to convey their experiences of migration, expressing feelings of homesickness and hardship. The article examines songs by Walid Mimoun, which depict the struggles and exploitation of life abroad, as well as tracks by the group “Ayaoun,” which capture a profound longing for the homeland and critique the peril of illegal migration via the "death boat." These songs reflect a strong connection to homeland and cultural identity, portraying the migrant’s experience as one of enduring attachment despite the physical distance from the Rif.

Keywords : External Migration - Amazigh Imaginary - Folk Song - Moroccan Rif.

مقدمة

عرف الإنسان الأمازيغي بمنطقة الريف الهجرة منذ القدم، وذلك لعدة أسباب منها الجفاف، والاستعمار، والحروب، والتهميش، والأزمات الاقتصادية التي عرفها تاريخ المغرب، فهجرة الريفيين كانت لظروف قاسية، والتي نجد أيضا من أسبابها الهجرة الإجبارية إذ في سنة 1898م قام المخزن المغربي بتشريد أحد قبائل الريف الأوسط وهي قبيلة بقيوة لأنه اعتبر سكانها من المزعجين له حيث ظلت خالية من السكان لمدة طويلة. وإلى جانب هذا التهجير الجماعي كان هناك تهجير فردي لأشخاص حكمت عليهم القبيلة حسب عرفها بمغادرة الدوار لجرم اقترفوه فيضطروا إلى طلب اللجوء (امزاوك).

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك هجرات فردية مصلحية من أجل التجارة مثلا، إذ كانت هذه الهجرة قبل القرن العشرين تتم بواسطة نقل العمال من بوسكور و تاوسرت و باديس إلى وهران بالجزائر أو إلى سبتة و مارتيل خصوصا، حيث كان أغلبهم ممن يتقنون حرفا يدوية[1].

دفعت مجموعة من العوامل في القرن العشرين بالكثير من أبناء الريف إلى الهجرة؛ حيث توجه بعضهم شرقاً إلى جبال الجزائر، وآخرون غرباً إلى المدن المغربية (مثل تطوان، طنجة، شفشاون، القصر الكبير، فاس، مكناس وغيرها). كما اختار آخرون الهجرة نحو أوروبا منذ ثلاثينيات القرن الماضي، للمشاركة في الحرب الأهلية الإسبانية أو بعد الحرب العالمية الثانية، للمساهمة في إعادة إعمار أوروبا. ولم تقتصر هذه الهجرة على عامة الشعب الأمازيغي فحسب، بل امتدت لتشمل الفنانين الريفيين الذين غادروا منطقة الريف بطرق وأساليب مختلفة، بحثاً عن الأمن والاستقرار أو سعياً لتحقيق فرص اقتصادية أو علمية.

اتخذ الفنان الأمازيغي، المعروف بتشبثه بهويته الثقافية وحبه لأرضه، الأغنية كوسيلة أساسية للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه تجاه وطنه في مواجهة تجربة الهجرة. إذ يُعد الفن الأمازيغي انعكاساً حيًا للهوية الثقافية وللتحديات التي يواجهها المهاجر الريفي، حيث يجسد معاناته وتطلعاته إلى العودة يوماً ما. ومن هذا المنطلق، سيتناول هذا العرض أهم الأغاني الأمازيغية التي تناولت الهجرة كموضوع مركزي، وبشكل خاص الهجرة الخارجية، لتسليط الضوء على الأبعاد النفسية والاجتماعية التي ينقلها الفنان الأمازيغي تجاه تجربة الاغتراب.

[1] - المفتوحي أحمد بوقرب، منطقة الحسيمة عبر التاريخ" مساهمتها في بناء الحضارة المغربية"، ج1، هوية المجال وارتباطه بالوطن و علاقاته بالأخر،ط1،مطبعة الخليج العربي،تطوان-المغرب،2013،ص:258.

1. التحديدات المفاهيمية:

لا يختلف إثنان على الدور الكبير الذي تلعبه المفاهيم في بناء العلوم والمعارف والتي يرتبط تطورها وازدهارها بمدى توفر ودقة المفاهيم الخاصة بها. فالمفهوم هو الوسيلة الأساسية لتكوين وتنظيم وتقدم أي معرفة وليس من المبالغ فيه القول إنه لا يوجد علم أو منهج من غير جهاز مفاهيمي خاص به كما قال الخوارزمي "المفاهيم مفاتيح العلوم". لذلك فأول ما سنبدأ به في مقالتنا هاته هو تفكيك عنوان المقال وشرح مفاهيمه محاولة منا لوضع القارئ في الصورة.

- **الهجرة:**

الهجرة لُغةً لفظٌ مشتقٌ من الكلمة الثُلاثيّة (هَجَرَ)، ومعناها الرّحيلُ عن المكان، أو التَخليّ عن شيءٍ ما، وأيضاً تُعرفُ الهجرة بأنّها انتقالُ الأفراد من مكانٍ إلى الآخر بغرضِ الاستقرار في المكان الجديد. أمّا اصطلاحاً تُعرفُ الهجرة بأنّها الانتقالُ مِنَ البلد الأمّ للاستقرار في بلدٍ آخر، وهي حركة أفراد التي يتمّ فيها الانتقالُ بشكلٍ فرديّ أو جماعيّ من موطنهم الأصليّ إلى وطن جديد، وعادةً ما توجدُ ظروفٌ عديدةٌ تُؤدّي إلى الهجرة، مثل انتشار الحروب الأهليّة أو الخارجيّة في الدّول، أو سوء الأوضاع الاقتصاديّة والتي تُعتبرُ من المُحفّزات للهجرةِ.[1]

- **المتخيل:**

المتَخيَّل اسم مفعول من تخيّل، وهو مشتق من مادة (خ، ي، ل)، جاء في لسان العرب: "خال الشيءَ يخالُ خيْلاً وخيلَة، وخَيْلَة وخالاً وخِيلاً..: ظنّه، وفي المثل من يسمعْ يَخَلْ، أي يظنّ.. وخيّلَ عليه: شبَّهَ. وأَخَالَ الشيءُ اشتبه.. والسحابة المُخَيَّلُ والمُخَيَّلَةُ والمُخِيلَةُ: التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة"[2]

إذ أن الإنسان ليس عقلا وحسب – كما دأبت على ذلك الفلسفة قرونا طويلة – وليس وعيا وحسب، بل انه كائن تناقضي يحتمل في كينونته الرغبة والحلم والعقل والواقع، وتعمل في داخله كل الملكات وتصطرع لتتفجر في أشكال لغوية ورمزية قد يطغى عليها الجانب العقلاني كما قد تعبر عن سمات جمالية لا تخضع بالضرورة للنسق العقلي السائد، بل لعالم المخيلة والمتخيل. وهذا ما يفرض عدم التعامل مع الذات الانسانية من زاوية أحادية لا ترى فيها الا العقل[3].

---

[1] - الموسوعة العربية العالمية،ط2، المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،1999، صفحة 73.

[2] - ابن منظور،لسان العرب، مجلد 2، د:ت،القاهرة،دارالمعارف،ص:1304.

[3]- محمد نورالدين أفاية،" في بعض أنماط المتخيل"، مجلة الثقافة الشعبية، عدد:8، ص:13.

- **الأغنية الأمازيغية:**

تعد الأغنية في كل ثقافة شفهية عاملا مهما من عوامل التواصل، إذ بواسطتها يتم التعبير عن المشاعر ونقل التجارب الروحية والعاطفية التي تعكس نبضات المجتمع وتطلعاته، كما أنها فن يعبر فيه الشاعر عن رؤيته الفنية للعالم ويكشف من خلاله المغني عن طقاته الصوتية والملحن عن براعته وتميزه في العزف والإيقاع واختيار اللحن المناسب للشعر، والمنسجم مع الصوت.

ليست للأغنية الأمازيغية وحدة موضوعية تعالجها من خلال أبياتها، مما جعلها قادرة على احتواء كل القضايا والمواضيع فرغم بساطة سردها في طرح تلك القضايا من حيث أسبابها وحيثياتها إلا أن وقعها على المتلقي كان دائما قويا.[1] بسبب تنوع أشكالها الفنية والموسيقية وأساليب أدائها.

2. الوليد ميمون:

يعتبر الوليد ميمون من الشعراء والمغنيين الأمازيغ في منطقة الريف بصفة عامة والريف الشرقي بصفة خاصة، وهو ابن مدينة الناضور ولد سنة 1959م وتأثر منذ صغره ب "امذيازن". استكمل دراسته الثانوية في ثانوية محمد بن عبد الكريم الخطابي بالناضور كما درس الفلسفة بجامعة محمد بن عبد الله بفاس. أصدر أول ديوان له سنة 1994 بعنوان " زي رادجاغ نء ثمورت غاروعرا وجنا" من اعماق الارض إلى أعالي السماء.

فمن أغانيه الخالدة أغنية "هاجاغ ثامرت إينو تلعغ غا بارا .. هاجرت موطني ورحت بعيدا." التي تحكي عن أسباب هجرة الإنسان الأمازيغي ومعاناته في الغربة. وهنا نعرض لكلمات الأمازيغية مع ترجمة تقريبية:

أودارغ اذسوغ ثوزا خافي ثرا. (رغبت في الشرب جف عني الماء).

مين زريغ تيفقاع من زريغ نتامارا. (كم قاسيت من ألم كم قاسيت من معاناة).

افقوسن د كور أرينايي حلا. (الهموم في القلب جعلوني في حالة سيئة).

هاجارغ ثامرت اينو اتلعغ غا بارا. (هاجرت موطني ورحت بعيدا).

[1]- بوشتى ذكي، محمد المسعودي، الغزل في الأغنية الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية-مركز الدراسات الأدبية و الفنية والإنتاج السمعي البصري- دراسات و أبحاث رقم:2، المعارف الجديدة، الرباط، صص:11-12-15.

زويغ سبع ربحار نيغاس أدفغ رهنا. (قطعت سبع بحور بحثا عن الإستقرار).

زي لكنسا غا وا أريمت اينو ثنوا. (من شعب إلى أخر جسدي تهالك).

زمن تيدي اينو سوينت مارا. (استغلوا مجهوداتي كلها).

ثمشومتا نلغروبيث ذكور اينو ثغزا. (هاته الغربة تركت في قلبي أثرا عميقا).

سنسغ سادوا رقندرت دكدفرد كنزار. (أبيت الليالي تحت القنطرة في الثلج و البرد).

يا حسرا خ بنادم يتمنزا. (يا حسرتاه على الإنسان صار يباع و يشترى).

قارغاس مارمي اربي غاجغ ثيمورا نبارا. (أقول متى يا إلهي أرحل من هاته البلدان).

اذ عقبغ غا ثمارت اينو سيبري اينو ذا زيرار. (أعود إلى موطني مرفوع الرأس).

ماني ثدجا ثفوشت دو جنا ذا زيزا. (أين هي الشمس والسماء الزرقاء).

هاجاغ ثامرت إينو تلعغ غا بارا. (هاجرت موطني ورحت بعيدا).

تصور هذه الأبيات الشعرية تجربة الهجرة بوصفها رحلة قاسية محفوفة بالحرمان والمعاناة، تعكس واقع الإنسان الأمازيغي المغترب عن موطنه. يبدأ الشاعر باستحضار حالة من الفراغ الروحي الذي يعيشه المهاجر في الغربة، معبراً عن إحساسه بفقدان الأمان والراحة التي كانت تملأ حياته في وطنه. يمضي الشاعر في توصيف رحلة الهجرة الشاقة، حيث قطع المهاجر مسافات طويلة وأبحر عبر "سبع بحور"، بحثاً عن حياة مستقرة وآمنة، غير أن واقعه أصبح مليئاً بالتحديات والاستغلال، حيث يجد نفسه مستنزفاً من قبل الغرباء الذين يستغلون جهده دون مقابل عادل.

تتجلى في هذه الأبيات صورة "الغربة" كجرح عميق ترك آثاره في النفس والجسد، حيث يصف الشاعر ظروف الحياة اليومية القاسية، فالمهاجر يبيت تحت الجسور وفي البرد القارس، مما يرمز إلى حياة مشوبة بالمعاناة والفقر الشديد. كما يرثي الشاعر في أبياته ما آلت إليه كرامة الإنسان في الغربة، حينما أصبح المغترب فاقداً لقيمته الإنسانية، وكأنه سلعة تُباع وتُشترى، وهو ما يعكس حالة الاغتراب التي يشعر بها.

يتوجه الشاعر بالدعاء إلى الله طالباً الخلاص والعودة إلى الديار، حيث يستحضر الحلم بالرجوع إلى أرض الوطن بكل كبرياء وكرامة، بعيداً عن ذل الغربة وصعوباتها. ويبرز في هذا السياق الحنين المتجدد إلى بساطة العيش وأمان الماضي، في وطنه الذي يشتاق إلى شمسه وسمائه الزرقاء.

تعبر هذه الأبيات في مجملها عن عمق التجربة الإنسانية في الهجرة، وكيف تتخللها مشاعر الحنين والألم، مما يجعلها رمزاً لمعاناة المهاجر الباحث عن العيش الكريم رغم الصعاب.

3. مجموعة أياون:

مجموعة "أياون" هي من المجموعات الغنائية الأمازيغية القديمة و المعروفة في الريف، تتطرق للعديد من المواضيع المهمة كالتشبث بالثقافة و الهوية الأمازيغية، كما ناقشت قضايا إجتماعية عديدة و التي من بينها ظاهرة الهجرة، وهذا ما نستشفه في العديد من الأغاني التي أطلقتها المجموعة. سنحاول الإشتغال عل نموذجين الأول بعنوان "أزول ثمارت إينو.. (سلام على أرضي)" والثاني تحت عنوان "ثاغاربوت ن طرام.. (قارب الظلام)".

الأغنية مع ترجمة تقريبية:

أزول أزول أزول ثمارت إينو. (مرحبا مرحبا مرحبا بلادي).

يا ثامرت ايتاسن غا ميد ن وور إينو. (يا بلادي القريبة إلى قلبي).

نش ميم إ تراغان زي تمارت ن إذرا وسينو. (أنا إبنك الذي يناديك من أرض الجبال والضباب).

ذاديها ذ كليمان ذ رغروبيت اينو. (هاهنا في ألمانيا في غربتي).

شم اذايي شن رحنونيت اينو. (أنت التي أخذتي حناني).

وحشخشم ثيكجادايي ثودساد غا رباراينو. (إشتقت لك و أنت بعيدة عني لكنكي قريبة لذهني).

وضايي مارا ثخسذ وضايي ثمارت اينو. (تعالي إذا أردتي تعالي يا أرضي).

وخا نش أويارغ ودجي ذاراي إينو. (رغم سفري فالأمر ليس بيدي).

مش غاكغ أشم توغ يما ثمزي إينو. (كيف أنساك وهناك أمي وطفولتي).

نش دايم إضحشغ جيغ ريمارث إينو. (أنا فيك يا أرضي ضحكت وتركت بصمتي).

تعبر هذه الأبيات عن مشاعر المهاجر الأمازيغي تجاه وطنه، حيث تنضح بالحنين والشوق للأرض الأم التي تركها خلفه. يستهل الشاعر قصيدته بتحية ترحيبية عاطفية متكررة لوطنه، وكأنها وسيلة للتأكيد على العلاقة الوثيقة التي تربطه بأرضه، باعتبارها "القريبة إلى قلبه". يصف نفسه على أنه الابن الذي ينادي وطنه من بعيد، مستحضراً صورة الجبال والضباب التي تمثل جمال الريف المغربي وتفاصيله الفريدة.

من خلال التطرق إلى تفاصيل غربته في "ألمانيا"، يعكس الشاعر مشاعر الحزن والألم من الابتعاد، واصفاً بلاده كالمكان الذي استلب حنانه العاطفي، حيث تجذبه أفكار وطنه باستمرار، رغم المسافات الشاسعة. يتجلى هذا الاشتياق في صور الشعرية التي تصف الوطن كحبيبة بعيدة لكنها حاضرة في العقل والذاكرة، مما يُظهر الارتباط العميق الذي يحتفظ به الشاعر في قلبه.

كما يعبر الشاعر عن رغبة دفينة في العودة إلى موطنه، مُستحضراً قوى أكبر منه قادته إلى السفر بعيداً عن بلاده. تبرز في الأبيات مشاعر العجز والحنين، حيث يتساءل الشاعر كيف يمكنه أن ينسى وطنه وهو يحمل في ذاكرته ذكريات الطفولة وصورة الأم، مما يضفي بعداً عاطفياً يربط بين الماضي والمستقبل.

واختتم الشاعر الأبيات بإشارة قوية إلى أن أرض الوطن هي المكان الذي ضحك فيه وترك أثره، مما يرمز إلى إحساس عميق بالهوية والانتماء. تظهر هذه الأبيات في مجملها كوثيقة وجدانية تحمل مشاعر الانتماء والحنين والارتباط بالأرض، التي تبقى دائمًا جزءاً لا يتجزأ من حياة المهاجر الأمازيغي، حتى وهو بعيد عنها جسدياً.

الأغنية الثانية هي بعنوان "ثغاربوت ن طرام (قارب الظلام)" و فيمايلي الكلمات مع ترجمة تقريبية:

ثغاربوت نطرام مين دام يتغير ثمزي امي ذاس ثكيد رغرور. (قارب الظلام ماهذا لماذا قمتي بإغراء الطفولة).

ما ذ رغمام اشم يذرين ما ثيشرا و ثكار. (هل السحب التي غطتكي أم أثار الرحيل).

نيغ ثني ثيمضرين ايثسيد ك بحرور. (أم هي القبور التي حملتي في أحضانك).

ماني ثكيد رووف أريف توغا يشار. (أينهم الألاف الريف كان ممتلئا).

ثرا غيد ماغا ايروح خران زايم ردشور. (ناديتي لماذا ذهب بسببك تركوا أحيائهم).

قدور ثوغا يقيم ذي ذمرث خو بدور. (قدور–إسم عالم- كان جالسا فوق صخرة على الأرض).

خ ثغاربوت ن طرام يسرا وشاي ويار. (على قارب الظلام سمع فرحل).

ثغاربوت ن طرا اينقربن غ وعرور. (قارب الظلام الذي انقل علو ظهره).

تشكل هذه الأبيات الشعرية لوحة حزينة تصور تجربة الهجرة وما يرافقها من ألم وخسارة، حيث يصف الشاعر "قارب الظلام" كرمز للهجرة التي تغري الشباب وتختطف منهم

براءة الطفولة. هذا القارب يشير إلى الرحلة المجهولة التي يسعى إليها الكثيرون، مع تركهم أحباءهم وذكرياتهم وراءهم في الوطن. تتساءل الأبيات عمّا إذا كانت الغيوم التي تغطي هذا القارب ناتجة عن آثار الرحيل أم عن الموت، وكأن هذا القارب يسير إلى مصير مجهول قد يكون خطيراً.

يتناول الشاعر غياب الآلاف من أبناء الريف، حيث كانت الأرض سابقاً مليئة بالأرواح، قبل أن تناديهم هذه الرحلة نحو الخارج، فيلبون النداء ويتركون خلفهم أحيائهم وموطنهم. يبرز "قدور" كشخصية رمزية هنا، ربما يمثل العالم أو الحكيم الذي يدرك حقيقة هذه الرحلة وآثارها، إلا أن حتى هو لم ينجُ من هذه الدعوة المظلمة، حيث سمع نداء "قارب الظلام" ورحل.

يبرز الشاعر صورة هذا القارب الذي ينقل الشباب بعيداً عن أرضهم وأحلامهم، حاملاً معه قصصهم وآمالهم، وكأنه يحملهم إلى مصير لا يُعرف مداه. تجسد هذه الأبيات تجارب مريرة للمهاجرين، حيث تتسم الهجرة هنا بالظلام وعدم اليقين، إذ تجرهم بعيداً عن ثقافتهم وهويتهم، ويفقدون على متنها أمان حياتهم ودفء مجتمعهم.

تستحضر الأبيات الحنين إلى الماضي والألم المرتبط بترك الأرض، متسائلة عن مصير الشباب الذين يستجيبون لدعوة الهجرة، تاركين خلفهم أحباءهم وآمالهم، مما يعبر عن رؤية مؤلمة للهجرة كمسار يجرد الإنسان من جذوره ويرميه في مواجهة المجهول.

4. الأغاني الشبابية:

من البديهي أن ظاهرة الهجرة لم تكن وليدة اللحظة ولم تنطلق من فراغ،والريفكانت امتدادا لتيارات هجروية داخلية عرفها المجتمع المغربي قبل نظام الحماية بعقود، فتركت أثارا بينة على التطورات المتلاحقة للهجرة الحديثة و انسجمت في سياقها التاريخي[1]، فرغم مرور السنين لا زالت منطقة الريف تعرف هجرة الكثير من الناس خاصة الشباب الذي يجد فيها الحل الأمثل في ظل الواقع المزري الذي يعيشه، والمعاناة التي يعانيها بسبب تفشي ظاهرة البطالة، ويظهر ذلك جليا من خلال العديد من الأغاني التي تعبر عن حلم الهجرة وأخرى تحاول التطرق إلى هاته الظاهرة قصد إقناع الشباب بالعدول عنها، وهذا ما يستشف من أغنية الشاب الصاعد **جوهان نوري** الذي يحكي عن قصص واقعية لأناس هاجروا الريف ابان الثورة السورية متنكرين كلاجئين

[1] - أحمد أغلال، الدواعي التاريخية والاجتماعية للهجرة المغربية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة الندوات "هجرة المغاربة إلى الخارج"، الناظور 1999، ص:51.

سوريين نحو البلاد الأوروبية، هاته الهجرات التي كلفت المغرب عموما والريف خاصة فقدان العديد من الشباب، و هنا نعرض للكلمات الأمازيغية مع ترجمة تقريبية:

ثاروا ناريف إينو مين ذاوم ايخاسن. (أبناء ريفي ما الذي ينقصكم).

أبريد ن تركيا كنيو يسبوهرين.(طريق تركيا أصابتكم بالجنون).

كنييو و اثسينام مين ذيني ايتوقعن. (أنتم لا تعرفون ما الذي يحصل هناك).

كارن ذي رغو ابي مساكن سنوسن فاقن. (يعيشون في الغابات لا يستطيعون النوم).

ثاروا ناريف إينو توغاكنيو ذا حسن. (أبناء ريفي كنتم هنا أحسن).

وسيند إسورين إيكنيو يسفلسن. (جاءوا السوريين ففقدتم عقولكم).

وين ذيها يوياريسمح و ايني الله يعاون. (ذاك الذي هناك رحل بدون وداع).

يجا إحنجارن نس ترون خاص إيمطاون. (ترك أطفاله يذرفون عليه الدموع).

اريف اينو يخرا مارا هاجرن. (ريفي مهجور بالكامل فالكل قد تركه).

قيمن اوسورا جارسن تمعاشرن. (بقي فيه الشيوخ فقط يعيشون فيما بينهم).

ورا شم أوثشما اينو تاريند كيدسن إخفنم. (حتى أنتي يا أختي أصبحت منهم أي المهاجرون).

ثجيد مسكينة يمام تنيخسيس قبارنم. (تركتي أمكي تبكي بحرقة أمامكي)[1].

تتجلى في هذه الأبيات الشعرية معاناة أبناء الريف الأمازيغي في سياق الهجرة، حيث يتساءل الشاعر عن أسباب ترك هؤلاء الشبان لأرضهم وموطنهم. يبدأ الشاعر بطرح سؤال مفتوح لأبناء الريف، مُعبرًا عن استغرابه من حالهم وما ينقصهم، مما يُظهر حالة من القلق والفضول حول تجاربهم في الخارج.

ثم ينتقل إلى الحديث عن "طريق تركيا"، مشيرًا إلى أن هذا الطريق قد أصابهم بالجنون، وكأنها تحمل في طياتها تحديات وصعوبات تفوق ما يمكن أن يتحمله الإنسان. يُظهر الشاعر كيف أن هؤلاء المهاجرين لا يدركون تمامًا ما يحدث حولهم، مما يعكس حالة من الضياع والاغتراب عن الوطن.

[1] - أغنية (أبريد ن تركيا) للفنان الشاب والصاعد جوهان نوري نشرت سنة 2016.

يتناول الشاعر أيضًا معاناة المهاجرين الذين يعيشون في الغابات، حيث لا يجدون حتى القدرة على النوم، مما يعكس قسوة ظروف الحياة التي يعيشونها. من خلال تكرار عبارة "أبناء ريفي"، يُبرز الشاعر الحنين إلى الوطن، مُشيرًا إلى أن هؤلاء الشباب كانوا يعيشون حياة أفضل في بلدانهم، قبل أن تتغير الأمور ويأتي السوريون، مما يضفي بُعدًا عن التنافس أو الصراع على الموارد والفرص.

يشير الشاعر أيضًا إلى أولئك الذين غادروا دون وداع، حيث تُظهر هذه العبارة الألم الناتج عن الفراق المفاجئ، وكيف تركوا خلفهم أطفالاً ذرفوا الدموع من أجلهم. يُبرز الشاعر هنا الصورة القاسية للريفي المهجور، حيث يتجلى التغيير الكبير في المشهد الاجتماعي بعد مغادرة العديد من الشباب، ليبقى الشيوخ وحدهم، مما يترك أثراً عميقاً في الهوية الثقافية والجماعية.

تختتم الأبيات بالحديث عن الأخت التي أصبحت من المهاجرين، مما يعكس فقدان الروابط الأسرية والمجتمعية، بالإضافة إلى معاناة الأم التي تُبكي بحرقة على فراق ابنتها. تجسد هذه الأبيات في مجملها واقع الهجرة القاسي، وتظهر كيف تؤثر هذه الظاهرة على الأفراد والعائلات، مُعبرة عن مشاعر الحزن والحنين التي تعتصر قلوب المهاجرين وعائلاتهم.

خاتمة:

في ختام هذا المقال، يظهر بوضوح أن الهجرة تُشكل جزءًا معقدًا وعميق الجذور في حياة الإنسان الأمازيغي بالريف، حيث ارتبطت هذه الظاهرة بمجموعة من العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي دفعت الكثيرين للبحث عن آفاق جديدة بعيداً عن أرض الوطن. وقد لعبت الأغنية الشعبية دورًا جوهريًا في توثيق هذه التجربة، إذ أصبحت مرآة تعكس آلام المهاجرين ومشاعر الحنين والاغتراب التي يعيشونها في الغربة. من خلال الأغاني التي تتناول موضوع الهجرة، يتمكن الفنان الأمازيغي من الحفاظ على رابط قوي بوطنه وأرضه، وتجسيد معاناته وأمله في العودة، مبرزًا بذلك ارتباطه العميق بهويته وثقافته.

يمكن القول إن الأغنية الشعبية الأمازيغية لم تكتفِ بوصف واقع الهجرة فحسب، بل ساهمت أيضًا في تشكيل الذاكرة الجماعية حولها، موثقةً لأجيال لاحقة تجارب متعددة من الفراق والمعاناة والأمل. وتبقى هذه الأغاني رمزًا للهوية والثبات الثقافي، ورسالة تبرز قضايا الهجرة من منظور إنساني واجتماعي، مما يؤكد أهمية توظيف التراث الشعبي كأداة لفهم وتحليل التغيرات المجتمعية العميقة في منطقة الريف.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- المفتوحي أحمد بوقرب، منطقة الحسيمة عبر التاريخ" مساهمتها في بناء الحضارة المغربية"،ج1،هوية المجال و ارتباطه بالوطن و علاقاته بالأخر،ط1،مطبعة الخليج العربي، -تطوان- المغرب.
- الموسوعة العربية العالمية، ط2، المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،1999.
- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 2، د:ت،القاهرة،دارالمعارف.
- محمد نورالدين أفايا،" في بعض أنماط المتخيل"، مجلة الثقافة الشعبية.
- بوشتى ذكي، محمد المسعودي، الغزل في الأغنية الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية-مركز الدراسات الأدبية و الفنية والإنتاج السمعي البصري- دراسات و أبحاث رقم:2، المعارف الجديدة، الرباط.
- أحمد أغلال، الدواعي التاريخية و الإجتماعية للهجرة المغربية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة الندوات "هجرة المغاربة إلى الخارج"، الناظور 1999.

الأغاني المعتمدة:

- أغنية الوليد ميمون "هاجاغ ثامرت إينو تلغغ غا بارا.. هاجرت موطني ورحت بعيدا.
- مجوعة "أياون" الأغنية الأولى بعنوان "أزول ثمارت إينو.. (سلام على أرضي)" والثانية تحت عنوان "ثاغاربوت ن طرام.. (قارب الظلام)".
- جوهان نوري أغنية "أبريد ن تركيا.. (طريق تركيا) نشرت سنة 2016.